



بسم الله الرحمن الرحيم .. الحمد لله .. والصلوة والسلام على رسول الله .. وبعد ..

لا يختلف عاقلان في أنَّ الأمة الإسلامية تمر بأزمة كبيرة وخطيرة عقب الانقلاب العسكري الذي وقع في مصر مؤخرًا؛ فأطاح بأحلام الشعوب العربية والإسلامية في التغيير، ولا يجادل أحد في أنَّ تداعيات هذه الأزمة لا تقتصر على المصريين وحدهم وإن كانوا هم أشد شعوب الأمة تضررًا منها.

وطبيعي أن يفكر المسلمون في كيفية الخروج من هذه الأزمة، ولكن ليس طبيعياً ولا مقبولاً أن يظل التفكير بمنأى عن هدایات القرآن، وإذا كنا مكلفين بالتفكير والتدبر ورسم الخطط ووضع الاستراتيجيات وغير ذلك بأسلوب علمي يأخذ في الاعتبار معطيات الواقع مع استشراف المتوقع ومحاولة استكناه ما وراء الأحداث؛ فإننا - كذلك - مأمورون باستصحاب هدایات القرآن ومنهيون عن مجافاتها، "كتاب أنزلناه إليك مبارك ليذروا آياته وليتذكروا أولوا الألباب".

ونحن إن ألقينا نظرة سريعة، تستصحب الماضي القريب من لدن موجة يناير 2011م، وتستشرف المستقبل القريب الذي سيأتي فيه النصر ويتحقق فيه العز والتمكين إن شاء الله، وتمر بتوعدة وأناة وتدقيق على أحداث الانقلاب وما قبله؛ فلن نتردد في تشبيهها في بعض جوانبها بما جرى في أحد وما قبلها وما بعدها.

ففي بدر تحقق لل المسلمين نصر هز عرش الباطل وخلخل دعامتات الجاهلية، هذا النصر المفاجيء للجميع أحدث عند المسلمين حالة من ضعف الحس بخطورة العدو، وحالة من الترهل الاجتماعي والسياسي تجاه أقوام كان من الأولى أن يعاملوا بحزم وأن يوضعوا في موضعهم الصحيح؛ فجاءت أحداد صفعة مدوية لتمهيد لمراجعة حقيقة لابد منها لمواصلة النضال الذي أوصل بعد ذلك إلى تمام العز وغاية التمكين "هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين".

ذلك - بصورة ما - جرت الأحداث في مصر، ثورة أطاحت برأس النظام وأبهرت العالم، بعدها حالة من الغرور الثوري والاسترخاء والغفلة، تخللتها أخطاء منهجية وقعت في غيبة الحس الإسلامي الوعي، ثم انقلاب أطاح بكل المكتسبات الظاهرة، وإن بقي المكتسب الأكبر وهو وجود الحالة الثورية، فكان الانقلاب صفعة عنيفة تهدف إلى الإفاقه والمراجعة وتصحيح المسار بغية الخروج من الأزمة والانطلاق إلى آفاق التمكين على متن ثورة أشمل وأوسع وأكثر وعيًا ورشاداً.

من هنا تكون الدروس القرآنية التي عقبت غزوة أحد دروساً لنا، ونكون نحن مستهدفين بها مثل الأولياء سواء، ونحن إن تأملنا تلك التعقيبات القرآنية فسنجدها تدور حول محاور أربعة، هي على وجه الدقة محاور الخروج من الأزمة.

- **المحور الأول:** استعادة الثقة بالنفس، واسترداد حالة استعلاء الإيمان
- **المحور الثاني:** المكافحة والمصارحة
- **المحور الثالث:** التقويم المستوعب للمرحلة بكل مكوناتها
- **المحور الرابع:** التمسك بثلاثية إعادة الانبعاث (التغافر – التشاور – التوكل)

هذه هي محاور الخروج من الأزمة، ومنطلقات التجديد للانبعاث الكبير، وجميع ما جاء في سياق التعقيب على أحداث أحد يدور حول هذه المحاور الأربع، فلننصح الآيات لنرى إلى أي مدى بلغت أهمية هذه المنطلقات.

في بداية التعقيب الفعلي على الأحداث وجدنا الآيات تربت على قلوب المؤمنين، وتهدئ من فوران الحزن والهم، فالمؤمنون هم الأعلون، والهزيمة لم ترفع الكافر ولم تخفض المؤمن، وهي ليست النهاية، فال أيام دول، وما أصابهم من ألم ومصاب فقد أصاب المشركين مثله، ولهم فوق ذلك أن الله اصطفى منهم شهداء ومحصهم بهذا الابلاء؛ ليكون هذا التمحص وهذا الاجتباء مقدمة لمحق الكافرين: "ولا تهنو ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين . إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين . وليمحص الله الذين آمنوا ويتحقق الكافرين ."

ولقد تناغم فعل الرسول صلى الله عليه وسلم مع هذا السياق؛ إذ إنّه عندما سمع أبا سفيان يصيّح: أعل هبل. قال لأصحابه: «أجيّبوه» قالوا: ما نقول قال: «قولوا: الله أعلى وأجل» . قال أبو سفيان: لنا العزى ولا عزى لكم. فقال النبي صلى الله عليه وسلم «أجيّبوه» قالوا: ما نقول؟ قال «قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم» . فقال أبو سفيان: يوم بيوم بدر، وال Herb سجال، فقال لأصحابه قولوا لهم: لسنا سواء، قتلانا في الجنة وقتلنا في النار.

فأهل الحق هم أهل الحق، وأهل الباطل هم أهل الباطل، والانقلاب لم يقلب الحق باطلاً ولا الباطل حقاً، وأهل الحق هم الأعلون بما معهم من حق وخير ومنهاج قويم، والباطل منسحق وإن بدا منتفضاً، وسيسقط حتماً، وما الأيام إلا كحبات مسبحة في يد القدرة الإلهية، فلا شك أن يوم النصر آت وكل آت قريب، وإذا كان الشهداء قد صعدوا إلى ربهم، وإذا كان القرح قد ألم بإخوانهم؛ فإنما ذلك ليمحص الله الذين آمنوا ويتحقق الكافرين.

لذلك يجب – قبل أي أمر آخر – من استعادة الثقة واسترداد حالة الاستعلاء الإيماني على الجاهلية، ذلك هو المحور الأول من محاور الخروج من الأزمة.

ويأتي المحور الثاني – وهو المكافحة والمصارحة – ليزن المعادلة، فالثقة بالنفس وحالة الاستعلاء بالإيمان ليست غروراً، وليس تجاهلاً للأخطاء، ولا إهالة للتراب على الزلات، وإنما هي لرّدّ الأمر إلى نصايه، وإرجاع الوضاع إلى ما كانت عليه؛ ليأتي التقويم على وضع قائم لا على وضع منهار.

ولقد صارت الآيات المؤمنين بمكمن الهزيمة: "قل هو من عند أنفسكم" بل واستطردت تتجول بهم في ذكريات ما وقع: "ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه، حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أرراكم ما تحبون، منكم من يرید الدنيا ومنكم من يرید الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم، والله ذو فضل على المؤمنين . إذ تصعدون ولا

تلعون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم فأثابكم بما بعثكم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم والله خبير بما تعملون" ، ليس هذا وحسب، بل استطردت الآيات لتفوص في الأعماق ولتستخرج مكنون النفوس: " ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعasa يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهتمهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل إن الأمر كله لله يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قاتلنا هاهنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم ولبيتني الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور".

ولقد تلقى الصحابة هذا الوحي، يتلى عليهم بما وقعوا فيه من أخطاء، بل ويتأتى على الناس إلى يوم الدين؛ لتعلم الأجيال أن التصحيح لا يمكن أن يأتي على أرض تضطرب بما في جوفها مما يجب أن تلفظه، فهل نحن قادرون على مكاشفة ومصارحة بهذه؟ هذا سؤال له ما بعده.

وبعد المصارحة تكون النفوس قد تهيأت لتقويم الأوضاع تقويمًا متجرباً من الانحياز إلى النفس، سالماً من تهمة التبرير والتسويف، وعندئذ فلابد من أن يكون مستوياً للمرحلة كلها وليس قاصراً على الحدث وآماده القريبة، ولا مختزلاً في زاوية من زوايا الأحداث ولدلالتها، وهذا هو المحور الثالث.

فعندما ننظر فنرى الآيات تفتتح بالحديث عن بدر "ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة" ندرك أن المرحلة كلها مستهدفة بالتقويم، أجل .. وندرك أيضاً أن هذا التقويم الذي لم يوقف امتداده اتساع النطاق الزمانى لن تند عنه زاوية من زوايا الحياة، فها هو - على سبيل المثال - يتطرق إلى مسألة الخل في النضج الاجتماعي وفي الوعي السياسي: "يا أيها الذين آمنوا لا تخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبلاً ودّوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون . ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتومنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور . إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً إن الله بما يعملون محيط ."

وكان الآيات تتنزل اليوم منددة بتلك الحالة من السيولة - بله الميوعة - في التعامل مع الدولة العميقة والإعلام (الفلولي) الفاسد ومجرمي العسكر وكلاب الداخلية وحثالة قضاة مبارك، الأمر الذي نتج عنه الانقلاب من هؤلاء جمياً على وضع أهل الحق هو في حقيقته منقلب على رأسه، ولو أن المؤمنين انساقوا وراء ما يُلُوح به دجاجلة المبادرات والمصالحات مع العسكر لكانوا جديرين بأن تتخلي العناية الإلهية عنهم، ويكلهم الله إلى أنفسهم.

ويأتي المحور الرابع والأخير ليضع مثلاً تبني عليه حركة الاستنهاض، وغياب ضلع من أضلاع هذا المثلث يعني غيابه وذهابه، ويعني غياب وذهاب حركة الاستنهاض والابتعاث، قال الله تعالى في سياق التعقيب على أحد احداث أحد: "فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب الم وكلين" .

(التفاير - التشاور - التوكيل) هذه هي الثلاثة التي تمثل دائرة استنهاض وبعث للأمة، فالتفاير وتقاذف التهم وجلد الذات يعيق الانطلاق، ويوقف الجميع على أول درجة في سلم الطائرة فتققع وتتفوت الكل، "فاغف عنهم واستغفر لهم" ، ويقترن بهذه الحالة ولا شك عدم الثقة برأي الغير، ومن ثم عدم المشاورة، أو حصر المشاورة في دائرة ضيقة لا تستوعب خبرات الأمة، ومن هنا كان الأمر المباشر: " وشاورهم في الأمر" هذا برغم أن مشورتهم بالخروج للفاء العدو خارج المدينة كانت من أسباب الهزيمة؛ ولا تعتبر مشورة تلك التي يمزقها الشركاء المتشاكسون من الجماعات والأحزاب المتحالفه المتخالفة؛

فيذهب كل فصيل بمزعة منها وينكب عليها وكأنها استحقاق وليس شورى تلك التي يستقل بها فريق بري نفسه صاحب القضية والمعنى بها وحده، ولا تكون شورى تلك التي تجري بين (لوبيات) يتناصر أعضاء كل لوبى منها ويتوافقون باستخراج القرار على النحو الموافق لاستراتيجيتهم ورؤيتهم هم، الشورى لها شروطها ولها آلياتها التي إن لم تتوافق لها كانت ممارسة مقنعة للاستبداد بالرأى، ثم يأتي التوكل ليغلق الدائرة فتفضيء مصابيح الأمل، وتنطلق (ماكينات) العمل، "إذا عزمت فتوكل على الله".

إننا بحاجة إلى استلهام درس أحد، واستدعاء محاور هذه الدرس؛ لعلنا نصيّب بعد ذلك في كل ما سينبني على هذه المحاور من استراتيجيات عامة في التغيير.

والله تعالى من وراء القصد وهو يهدي إلى سواء السبيل

الإسلاميون

المصادر: